

## زواوة بالبلاد التونسية خلال العهد العثماني: من الهجرة إلى الاندماج الاجتماعي

Zwawa in Tunisia during the Ottoman era:  
From migration to social integrationبوقادوم حمزة 

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر

Bougadoum.hamza@univ-oeb.dz

## الملخص:

عرفت الجالية الجزائرية خلال الفترة الحديثة حضورا متميزا ومؤثرا داخل البلاد التونسية؛ التي شكلت آنذاك مجالا منفتحا وأرضية لتنوع اجتماعي؛ عكسته الفسيفساء البشرية التي قدمت إليها من مختلف نواحي الإيالة الغربية؛ حيث استوعب المجتمع التونسي تنوعا اثنوغرافيا ملحوظا؛ كان من أبرز مكوناته جماعة زواوة-ذات الأصول الأمازيغية-التي استقرت بالبلاد منذ القرن السادس عشر، وسرعان ما أصبح لها دور محوري في مختلف التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية العميقة التي شهدتها تونس في العصر الحديث. وقد ارتبط هذا التطور بالدور الهام الذي لعبته زواوة، في تاريخ البلاد كقوة عسكرية؛ انخرطت أعداد كبيرة منها في الحياة العسكرية، وشكلت مخزونا بشريا احتياطيا لجأت إليه الأنظمة الحاكمة كلما دعت الحاجة، لتأمين استقرارها الداخلي وخاصة في أوقات الفتن والأزمات، ومرد هذا الاعتماد هو ما تميزت به الزواوة من قدرات تنظيمية وحربية عالية؛ جعلتها تحظى بمكانة هامة داخل الجهازين الإداري والعسكري، وقد ارتبط حضورها القوي أيضا بولائها التاريخي للسلطة، وهو ما ساهم في استمرارية دورها كمكون فاعل في مؤسسة الحكم. كما ساهمت في تنشيط الدورة الاقتصادية من خلال تأمين الطرق والمسالك التجارية، وتنظيم الأسواق، وممارسة الحرف والصنائع، والمشاركة في تحصيل المجبى، ما أضفى بعدا اقتصاديا للتواجد الزواوي الذي تجاوز الطابع العسكري التقليدي؛ إلى تعزيز الأمن التجاري لا سيما في المناطق الحدودية والمجالات الريفية التي شهدت تنقلات دائمة للسكان والتجار.

أما من الناحية الثقافية والدينية، فقد ساهم الزواوة في إثراء المشهد الفكري من خلال مشاركة مشايخهم في التدريس بالجامع الأعظم، وتقلدهم مناصب مرموقة كالخطابة والإفتاء والقضاء، فضلا عن نشاطهم في رحاب الطرق الصوفية، ولا سيما الطريقة الرحمانية، التي مثلت وعاءً روحيا واجتماعيا لاحتواء الوافدين من أوساطهم الأصلية، والتفافهم حول قطب مدارهم الشيخ سيدي البشير الذي وجدوا في زواياه ملاذا انسجم مع حاجياتهم الملحة للاندماج الاجتماعي؛ ما ساعد في تعزيز الشعور بالانتماء الديني المشترك مع السكان المحليين، ودعم الهوية الدينية الإسلامية للبلاد. ومن الجوانب التي تسترعي الانتباه أن أبناء زواوة لم ينخرطوا جميعا في الحياة العسكرية؛ بل حرصوا على الحفاظ على خصوصيتهم الثقافية، واندمج جزء منهم في الحياة الاجتماعية من خلال المصاهرة والاستقرار في الأحياء الشعبية بالمدن، وتكوين شبكات تضامن زواوية محلية الطابع، وقد أسهم هذا التفاعل الاجتماعي في ترسيخ وجودهم كمكون أصيل متجذر داخل المجتمع التونسي، حيث تولّى العديد منهم مناصب شرعية ومخزنية، واندمجوا تدريجيا في الهياكل الرسمية وغير الرسمية للدولة، مما ساعد على ذوبانهم في النسيج المجتمعي بشكل طبيعي ومستدام. تهدف هذه الدراسة بالدرجة الأولى إلى تسليط الضوء على السياق التاريخي والاجتماعي الذي أحاط بالوجود الزواوي في البلاد التونسية، وتحليل الأدوار التي اضطلعوا بها، وآليات الاندماج في الأوساط المجتمعية الجديدة؛ والتحديات التي واجهتها زواوة مقارنة بباقي الأقليات، كما تسعى إلى فهم الخصوصية الثقافية والاجتماعية التي مكنتها من فرض وجودها داخل مجتمع متنوع، والتحول من وافد إلى فاعل أساسي ساهم في بناء معالم المشهد التونسي الحديث، بكل ما يحمله من تعدد وثرأ؛ من خلال حضورها في المشهد الثقافي والديني، وأثرها على الصعيد الاجتماعي. وهذا يتتبع تطور وجود الزواوة في

تونس عبر الوثائق والمصادر المتوفرة، وتحليل أدوارهم وطبيعة علاقتهم بالسلطة التونسية، ومظاهر تأثيراتهم في المجالات الأمنية والدينية والثقافية؛ التي تبين قدرتهم وسرعتهم على الاندماج، ومساهماتهم في دعم الدولة واستقرارها وتفوقهم على سائر الأقليات بفعل التضامن والتنظيم الداخلي.

الكلمات المفتاحية: زواوة، تونس، سيدي البشير، الاندماج الاجتماعي.

## Abstract:

The Algerian Community Enjoyed An Influential And Prominent Presence In Tunisia During The Modern Period, Which Served As An Open Space And A Hub For Social Diversity. This Diversity Was Apparent In The Mosaic Of People Who Arrived From Various Western Regency. Tunisian Society Absorbed Considerable Ethnographic Diversity, Among Which The Zawawa—Of Amazigh Origin—Being Among The Most Notable. Since Their Settlement In The Sixteenth Century, The Zawawa Played A Pivotal Role In Tunisia's Deep Political, Social, And Economic Transformations Of The Modern Era. Their Growing Prominence Stemmed From Their Role As A Military Class, With Many Zawawa Integrated Into Military Life, Forming A Crucial Human Reserve That Ruling Regimes Relied Upon In Times Of Need To Maintain Internal Stability Especially During Times Of Internal Unrest And Crisis. As An Organized And Capable Military Group, The Zawawa Held An Important Position Within The State's Administrative And Military Structures. Furthermore, Their Significant Contributions And Historical Loyalty To The Ruling Authority Reinforced Their Continued Inclusion Within The State Apparatus. Economically, The Zawawa Contributed To The Revitalization Of The Economic Cycle By Securing Roads And Trade Routes, Organizing Markets, Practicing Various Crafts And Commerce, And Participating In Tax Collection. Their Role Extended Beyond Military Duties, Adding A Strong Economic Dimension To Their Presence—Especially In Maintaining Commercial Stability In Border And Rural Regions With High Mobility.

They Also Contributed To Intellectual And Religious Life: Some Of Their Scholars Taught At The Great Mosque, Held Important Religious Positions Such As Preacher, Mufti, And Judge, And Many Joined Widespread Sufi Orders Like The Rahmaniya, Which Provided A Spiritual And Social Refuge For These Migrants. Their Spiritual Leader, Sheikh Sidi Al-Bachir, Provided A Refuge In His Zawiyas (Religious Centers), Meeting The Zawawa's Pressing Need For Social Integration And Fostering Both Social Cohesion And A Shared Islamic Identity With The Local Population. Importantly, Not All Zawawa Were Involved In Military Service. Some Preserved Their Distinct Cultural Traditions And Integrated Socially By Marrying Into Local Families And Settling In Popular City Neighborhoods, They Established Local Solidarity Networks Bearing Zawawa Characteristics. This Social Interaction Helped Them Become A Deeply Rooted Part Of Tunisian Society, With Many Holding Administrative And Legal Positions. This Fostered Their Gradual Assimilation Into Official And Unofficial State Structures Of The State, Which Enabled Their Natural And Sustainable Assimilation Into The Societal Fabric. This Study Seeks Primarily To Highlight The Circumstances Surrounding The Zawawa's Presence In Tunisia, The Challenges They Faced, And How—Unlike Other Minorities—They Successfully Integrated Into Their New Social Environment. Their Patterns Of Social Practice, Military Participation As A Core Force In The Tunisian Army, As Well As Their Cultural And Religious Contributions, All Shaped Their Lasting Impact On Tunisian Society. Through Social Integration, Available Documents And Sources, Analyzing Their Roles And The Nature Of Their Relationship With The Tunisian Authorities, And The Manifestations Of Their Influence In The Security, Religious, And Cultural Spheres. This Demonstrates Their Ability And Speed To Integrate, Their Contribution To Supporting And Stabilizing The State, And Their Superiority Over Other Minorities Due To Solidarity And Internal Organization.

**Keywords:** Zawawa, Tunisia, Sheikh Sidi Al-Bachir, Social Integration.

بريد الإرسال: حمزة بوقادوم. Hamzabougad844@Gmail.Com

## مقدمة

أدى الحراك الاجتماعي بين إيالتي الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية؛ باعتباره عملية حيوية وأداة أساسية للتعمير وحركة تواصل بشري وحتمية فرضتها الظروف والدوافع المختلفة إلى حركة هجرية بينية؛ عكستها أعداد الجالية الجزائرية التي وضعت عصا التسيار بالبلاد التونسية؛ كما هو الحال مع زواوة التي تعد من أبرز المجموعات الوافدة التي كان لها حضور لافت في النسيج المجتمعي التونسي المتعدد الأجناس والمكونات، وهذا بحكم ما اشتهر عنها من شدة المراس والانضباط الاجتماعي والولاء التام للسلط الحاكمة، وهو ما جعلها تحتفظ بشيء من النفوذ المادي والرمزي. من هذا المنطلق ارتأينا دراسة حراك أبناء زواوة إلى تونس لما لهذا الموضوع من أهمية؛ تظهر في ريادته وجدته وأصالته إذ لا يزال في حاجة إلى المزيد من الحفر، وتوسيع دائرة الاستقصاء والبحث وتنويع الرؤى في إحدى الحلقات الغامضة؛ فالخوض في تاريخ زواوة لا يكون إلا بالنفوذ إلى عمق مجتمعها ورصد تطوراتها على مستوى البنى الاجتماعية والذهنية والاقتصادية، وهذا بتقديم قراءة في التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي رافقت حراك هذه الشريحة الاجتماعية في الفضاءات الحضرية التونسية؛ ومدى تأثير الهويات الثقافية المختلفة على المجتمع المحلي التونسي؛ في ظل قدرة زواوة على التكيف والاندماج السريع داخل البنية المجتمعية والعسكرية، وهو ما يجعل من دراستهم نافذة لفهم طبيعة التغيرات التي مسّت الدولة والمجتمع خلال تلك الحقبة.

كما يجب التنويه أن الباحثين الذين عكفوا على دراسة تاريخ زواوة الحديث استغرقهم النواحي السياسية، واقتصرت أغلب الكتابات المحلية على رصد محطات من تاريخ زواوة كقناة عسكرية لا غير؛ باستثناء دراسة للباحث موني صميدي Smida Mongi، لكنه اقتصر على تتبع حضورها خلال القرن التاسع عشر، أما الباحثة نبهة مصباحي فقد ركزت اهتمامها على إبراز الدور العسكري لفرق زواوة خلال الفترة الحديثة. في هذا الإطار تندرج مساهمتنا البحثية التي تتمحور إشكالياتها حول مسألة حضور جماعة زواوة كإحدى الأقليات الفاعلة داخل النسيج الاجتماعي والعسكري التونسي؛ وأدوارها المتقدمة في أجهزة الدولة، إلى جانب مساهمتها في الحياة العامة، وهذا في ظل التحولات السياسية والعسكرية والاجتماعية التي شهدتها البلاد خلال العهدين المرادي والحسيني، لذلك تتبادر إلى أذهاننا جملة من التساؤلات من قبيل؛ إلى أي مدى أسهمت زواوة في رسم معالم تاريخ تونس العسكري والاجتماعي خلال الفترة الحديثة؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية أهمها؛ ما هي الظروف التي أحاطت بتمركز زواوة بالإيالة التونسية؟ ماهي سمات وخصائص تنظيمهم الإداري والعسكري؟ ما طبيعة المهام والأدوار التي أنيطت بأبناء زواوة في البلاد التونسية؟ بماذا نفسر سهولة وسرعة اندماج هذه العناصر الوافدة في الأوساط المجتمعية الجديدة؟

إن سعي هذه الدراسة الأساسي تتبع صلات زواوة بالبلاد التونسية من خلال الكشف عن الملامح العامة للحضور الزواوي، والتأثير الذي مارسته زواوة برجالها ومشايخها وهجراتها؛ وما صاحب ذلك من تغيرات عميقة هزت أسس المجتمع التقليدي في البيئات الجديدة، والبصمات التي تركتها على صعيد الصلات الحضارية؛ معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي الوصفي من أجل فهم السياق التاريخي للحضور الأمازيغي، وهذا في إطار مقارنة تاريخية انثروبولوجية تسمح بالمراوحة بين ما هو

اجتماعي وثقافي من خلال رصد بوصلة الانتماء وظروف تركز زاوية بالإيالة التونسية وتنظيمها الإداري والعسكري وتتبع تطور مكانتها العسكرية، وأدوارها خارج المؤسسة العسكرية؛ ومظاهر التماهي في النسيج المجتمعي. لدراسة الموضوع ومحاولة الإلمام بجوانبه والإجابة عن أهم إشكالياته، عمدنا إلى استغلال متن مصدري متنوع استوعب العديد من الأجناس؛ تصدره الوثيقة الأرشيفية؛ كالدفاتر الإدارية والجبائية، بالإضافة إلى مادة مصدريّة أساسية؛ من ذلك المؤنس لابن أبي دينار، والمشرع الملكي لمحمد الصغير بن يوسف، والإتحاف لابن أبي الضياف، وعدد هام من المراجع من أبرزها مغرب المتصوفة للباحث لطفي عيسى؛ دون أن نغفل الدراسة القيمة للمؤرخ عبد الواحد المكني عن فئة زاوية؛ في مجلة C.E.R.E.S. Du Cahier عام 2010، الموسومة بـ "غرباء من الماضي: مجتمع زاوية منذ منتصف القرن 19م".

- «Allogènes De Jadis De Naguère : La Communauté De Zwawa A Partir Du Milieu Du 19<sup>e</sup> Siècle».

#### 1. زاوية: النسب والجغرافيا.

زاوية قبيلة بربرية بترية من فروع كتامة يعودون في نسبهم إلى ولد سميكان بن يحيى بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتري. ولهم عدة بطون، والواقع أن زاوية ليست قبيلة واحدة بل مجموعة من القبائل أهمها: بنو منقلات وبنو بترون وبنو غبرين وبنو كسطولة (ابن خلدون، العبر: 168، 169)، ويعتبر الباحث بوليفة أن نسبة زاوية إلى كتامة؛ هو الرأي الأكثر دقة والأقرب إلى الحقيقة، بحكم استقرارهم في أراضي الكتامين (Boulifa, 392, 393: 1925)، ويعيد صاحب مفاخر البربر تسمية زاوية إلى "زاو"؛ أحد أبناء سمجان بن يحيى بن تمزيت بن ضريس (مجهول، 2005: 167).

اختلف الباحثون في تحديد حدود بلاد زاوية؛ حيث ذكر أبو يعلى الزواوي أن الزاوية قبائل كثيرة، ومواطنهم بشمال افريقية؛ يجعلهم البحر المتوسط الممتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية إحدى عواصمهم وإلى جيجل نصف دائرة (الزواوي، 2005: 90). وهو ما يؤكد المدني بقوله "زاوية تقع شرق مدينة الجزائر موازية للبحر" (المدني، 1956: 33) ما بين مواطن كتامة وصنهاجة، يتمركزون أساسا فيما بين بجاية ودلس (ابن خلدون، العبر: 169)، ومعنى ذلك أن مجال زاوية يشمل القبائل الشرقية والغربية، حيث وادي الصومام الذي يعد حاجزا طبيعيا يفصل بينهما (مبارك، 2015-2016: 16).

سكنت زاوية جنبا إلى جنب من صنهاجة أو تكون قد ورثتها في أراضيها، لأن زاوية امتدت مضاربها من شرق مدينة الجزائر موازية للبحر إلى بجاية وجيجل (حسبلاوي، 2022: 18)، إذ تتحدث المصادر عن زاوية الجلاللة الوافدين على تونس من منطقة جيجل (مصباحي، 2008-2009: 18)، وهو ما نلمسه أيضا عند صاحب المشرع الذي اعتبر غراية بجاية؛ في ماطر وبنزرت من أبناء زاوية (الصغير بن يوسف، 2009: 192)، ويذكر أبو راس أن أعز زاوية بالمغرب الأوسط؛ أهل الجبل المطل على دلس (الناصر، 2005: 102، 103)، حيث ظل المصطلح متداولاً إلى العهد العثماني، فقد ذكر الزهار أن قائد سباو عمالته زاوية التي يحدها وطن يسر (الزهار، 2009: 60)، وتمتد مجالاتها أحيانا إلى الونشريس جنوب مليانة (مقديش، 1988: 80)، وذهب ابن الخوجة أبعد من هذا؛ عندما ذكر زاوية الوافدين من جبال الأوراس (بن الخوجة، 1986: 153)، في حين أن بعض الإخباريين يؤكدون أن زاوية يمثلون قبائل زاوية وفليسة (مصباحي، 2008-2009: 15)، واللذان يمتد مجالهما كما يذكر

Venture De Paradis من دلس إلى القل، حيث كان للزواويين نحو 300 قرية، 33: 2006 (De Paradis, 34)، وجعل بايسونال حصون الزواوة الوعرة في كوكو وجبال بجاية والقل، 475: 1838 (Peyssonnel, 476). وعندما تحدث هايدو عن ساكنة مدينة الجزائر توقف عند الزواوة القادمين إليها من مواطنهم بجبال "كوكو" أو "بني عباس" (Haëdo, 2007: 51, 52)، حيث كانت منطقة القبائل بمجملها، ممتدة على نطاق دائرتين إداريتين؛ "القبائل الصغرى" و"القبائل الكبرى" (Mahé, 2006: 41)، وكانت بجاية قبلة وحاضرة لبادية زواوة؛ التي شكلت رافدا أسهم في تقوية النسيج العمراني (خلفات، 2009: 183-181)، وزواوة هي الفرع الوحيد من بين فروع كتامة التي لم تستعرب إلا بنسبة ضئيلة (القبائل، 1997: 127، 128).

انتشرت تسمية أخرى تميز هذه المنطقة هي بلاد القبائل وهي التسمية التي أطلقها العثمانيون على الجهات الجبلية الحصينة الواقعة إلى الشرق من مدينة الجزائر. والتي قسمت إلى "قبائل صغرى"، و"قبائل كبرى" (آيت سوكي، 2006-2007: 17)، والمعروفة باسم زواوة؛ فقد جاء في كتاب هايدو أن تسمية القبائل تطلق على الأفراد المعروفين باسم زواوة (Haëdo, 2007: 51, 52)، أما قنصل أمريكا شالر؛ فقد أطلق تسمية القبائل على جميع قبائل الأطلس ومختلف السلاسل التي تتفرع عنه، والمنحدرة من أرومة واحدة مثل بني زواوة وبني عباس (شالر، 1982: 113)، وهو ما عبر الورثيلاني هو الآخر الذي أشار إلى انتمائه للزواوة الذين صادف جماعة منهم- أثناء مروره بتونس (الورثيلاني، 2011: 305)، وذكر الأستاذ بوليفة أن اسم زواوة يحمل نفس معنى كلمة قبائل، وهو ما تبنته الباحثة فاهيمة مبارك (مبارك، 2015-2016: 20)، ويشير مارتى Marty Germaine أن القبائل التي يطلق عليها اسم "زواوة" - المستقرة بتونس- من أكثر المجموعات الجزائرية تجانسا (Marty, 1948: 304)، وتشير الباحثة التونسية فاطمة بن سليمان أن جند زواوة هم المنتدبون من أبناء القبائل في الجزائر (بن سليمان، 2009: 117)؛ وفي نفس السياق أكدت الدراسات الحديثة أن تقسيم سكان منطقة بجاية وما حولها إلى قبائل كبرى (زواوة) و قبائل صغرى (منطقة بجاية)؛ ما هو في الحقيقة إلا تطبيقا لشعار فرق تسد الذي رافق الاستعمار الفرنسي (خلفات، 2009: 183-181)، وهذا بعد أن انحسرت تسمية زواوة في فترات لاحقة، وأضحت قاصرة على العروش والقبائل الساكنة في أعالي جبال جرجرة. انطلاقا من النسب والامتداد المجالي؛ نجد أن مصطلح زواوة من الناحية التاريخية الاثنوغرافية؛ يتماهى إلى حد بعيد مع تعبير القبائل؛ بحكم الانحدار من الحاضنة الكتامية وشمولية وسعة الفضاء الجغرافي للمنطقة.

## 02- من جبال القبائل إلى البلاد التونسية "خلفيات الحراك الزواوي والتحولت الديمغرافية":

إن حركة الساكنة وتنقلاتها لا تخضع إلى القيود الزمنية وتتجاوز أحيانا المجالات الجغرافية المحلية؛ فقد هاجرت بعض فروع زواوة إلى بيئات إفريقية منذ العهد الفاطمي (القبائل، 1997: 128)، وازدادت دينامية الحراك منذ العهد الحفصي حين وفدت جماعات منها على البلاد التونسية؛ بحكم التبعية للسلطان الحفصي على مدى أزيد من ثلاثة قرون (ساحي، 2015: 29)، إلى جانب الصلات الفكرية والحضارية الضاربة التي تجمع بينهما، حيث سجلت عائلات زواوية حضورها في سماء الحياة الثقافية التونسية؛ من ذلك أسرة بني غبرين التي قدمت أعلاما خدموا الفكر والثقافة العربية والإسلامية بإفريقية (بوعزيز، 2009: 289)، وتواصلت تنقلات زواوة إلى تونس خلال الفترة الحديثة، حيث حافظت الساكنة على وشائج القربى، والماضي المشترك، والعوائد الموروثة، ولم ينساقوا أبدا وراء دعاة الفرقة (عميراوي، 2002: 6)؛ ورغم إعلان بجاية استقلالها عن تونس إلا أن العلاقات

البينية بقيت وطيدة (بنوجيت، 2009: 30)، واستمر أبناء الأسرة القاضوية في المحافظة على الروابط بالمخزن الحفصي على عهد مؤسس إمارة كوكو<sup>1</sup> الفقيه السياسي أحمد بن القاضي الغبريني؛ الذي تحالف مع السلطان الحفصي سعيا إلى إجلاء الأتراك عن الجزائر (بن اشهو، 1972: 149)، وقد لمعت صلات الحفصيين وعلاقاتهم بالعلماء وذوي الأنساب الشريفة من زمرة أحمد بن إدريس ووالده وآل العيدلي والوغيليسي وغيرهم، كما سمحت العلاقات لآل القاضي بنسج روابط دائمة مع بني حفص عززتها المصاهرة بين الطرفين<sup>2</sup>.

استقطب المجتمع التونسي خلال الفترة الحديثة جاليات جزائرية وافدة عبر فترات تاريخية متلاحقة، أبرزها زواوة التي حطت عصا التسيار بالبلاد التونسية منذ العهد الحفصي (الأرقش و وآخرون، 2003: 153)، واستقرت زمن الصراع التركي الإسباني (ابن أبي دينار، 1993: 196)، وشكلت غالبية أبناء الجالية الجزائرية في تونس (Haggi, 2020: 29)؛ وقد استمدت اسمها من قبائل زواوة في جرجرة بالشمال الشرقي الجزائري (Federman, 1867: 299)، واشتهرت عناصرها بالشدة والبأس (Pellisier, 1980: 376)، إذ يقول صاحب الاتحاف "زواوة من أعظم قبائل البربر وأشدّهم بأسا، حتى أن جلهم لم تصله يد الترك... شجاعته لا يستطيع المنكر جحدها" (ابن أبي الضياف، 2016: 157)؛ بحكم نشأتهم في بيئة جبلية؛ اتسمت بوعورة تضاريسها وقساوة جغرافيتها (ابن أبي الضياف، 2016: 121، 122)، ويذكر صاحب المشرع أنهم على أصناف تنحدر من أوساط جغرافية متنوعة (الصغير بن يوسف، 2008: 84)، وهذا تأكيد على جلهم من بقاع مختلفة وليس من جبل زواوة على وجه التحديد.

ويظهر أن هؤلاء القادمين من منطقة القبائل؛ قد التحقوا بتونس طلبا للرزق ثم انخرطوا في صف الجندية (لاغة، 2018: 177)، لما اشتهروا به من شجاعة وبأس؛ مع القناعة والاكتفاء بشظف العيش (بن الخوجة، 1986: 153)، بحكم طبيعة الفرد والبيئة، وكانوا مضرب الأمثال بالبلاد التونسية "الزواوة مقدمون في البلاء ومؤخرون في الراتب". وارتبطت الهجرة الزواوية برفض السياسة المنتهجة من الأتراك، إذ يشير شالر أن عامل الاستبداد والطغيان؛ أدى إلى خلو الشرق الجزائري من السكان؛ والتجاء غالبيتهم إلى مملكة تونس (Shaler, 1830: 113). ذلك أن الأتراك لم يزرعوا في الزواوة - كما يقول فيرو- سوى صفات البطالة والابتزاز والاستبداد (Féraud, 1869: 190-193). كما أن انعدام الاستقرار السياسي والتهديدات الأجنبية المتكررة على المنطقة

<sup>1</sup> - إمارة كوكو: تأسست سنة 1511 على يد الشيخ أحمد أولقاضي الغبريني المدعو بوقطاش؛ في قرية قرب أربعاء نايت ايرائن تدعى أورير، ثم انتقل إلى قرية كوكو التي اتخذها عاصمة له... بدأت المرحلة الأولى من تاريخ المملكة مع أحمد أولقاضي الذي بقي في الحكم إلى غاية 1527، واستمرت المرحلة إلى غاية سنة 1618؛ وهو تاريخ قتل عمر أولقاضي، ثم بدأت مرحلة أبو ختوشان، واستطاع ابن الملك المقتول حند أولقاضي المدعو التونسي أن يثأر لمقتل والده في سنة 1633، واستمرت المرحلة إلى غاية سقوطها سنة 1767م، انظر: علي بن الشيخ: مملكة كوكو ونظامها السياسي والعسكري، أطروحة دكتوراه في الحضارة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2017-2018، ص 50-53.

<sup>2</sup> - تزوج الأمير الرابع في سلالة الملوك بكوكو عمر بن القاضي بوختوش (1591-1619)، امرأة من أسرة بايات تونس، وعند مقتل زوجها سنة 1619؛ فرت أرملة سي عمر إلى أهلها بتونس، وكانت حامل إذ ما لبثت أن وضعت ابنه المسى حند أو سي أحمد بن عمر القاضي بن ختوش والمكنى أيضا بأحمد التونسي الذي سيعمد لاحقا إلى السعي لاستعادة ملك أبيه السليب عام 1632-1633م أنظر: أحمد ساجي: المرجع السابق، ص 37، 51، 65.

منذ مطلع القرن 16م، كان وراء حراك الساكنة؛ فقد أحدث الغزو الإسباني لبجاية 1510م تحولا جذريا؛ كانت نتيجته فرار السكان وهجرتهم (ساحي، 2015: 31، 32)، وتقلص عدد قاطني المنطقة وقطع موارد رزقهم (Féraud, 1869: 190)، حيث كانت بجاية من أكثر المدن التي تعرضت إلى هذا النزيف البشري في الجهة الشرقية من البلاد (فكاير، 2018: 261).

ومن دواعي حراك أبناء المنطقة فقر البلاد وتزايد عدد الساكنة في بعض الجهات (Marty, 1948: 310)، فالقوضى الاقتصادية وفقر البلاد؛ وقلة مواردها، كانت وراء خروج الساكنة إلى تونس التماسا للرزق، كما كان للبواعث التجارية والسعي في تمتين الروابط الاجتماعية تأثير بارز في الحراك البيئي؛ فقد كانت القوارب ذات الصواري أو الزوارق الشراعية تنقل بعض منتجات بجاية في الربيع إلى تونس بصفة دورية (Féraud, 1869: 195). حيث كانت سكة تونس تصنع بالألوف بزواوة وترسل مع التجار إلى تونس<sup>3</sup>، وكثيرا ما كان أهالي زواوة يرسلون أبناءهم إلى البلاد التونسية لتعلم الصناعات والحرف اليدوية (شلوصر، 1977: 100)، ولعل هذا ما يفسر قيمة وحجم الهدايا والهبات الدورية التي قدمها علي باي (1759-1782) إلى أهالي جبل زواوة لتوزع على طلبة العلم، ووفود الحرم الأمن، وأهل الصلاح من الأولياء<sup>4</sup>، حيث خص صلحاء جبل زواوة بإحسان؛ قدرت قيمته بـ 15607 من الريالات عام 1780م<sup>5</sup>، لذلك كانت البلاد التونسية المقصد والوجهة. وهذا دون إغفال عامل القرب الجغرافي؛ فقد كان إقليم الشرق الجزائري ينفرد بمميزات وخصائص حدوده؛ التي جعلته فضاء مفتوحا على الغرب التونسي (عميراوي، 2002: 12)، فأصبحت المسافة بينهما أيسر سبيلا، لذلك تنقلت الساكنة من أبناء زواوة إلى تونس طلبا للعلم أو طمعا في الوظيفة، ولأن الجهات الشرقية تاريخيا كانت خاضعة للنفوذ الحفصي (صولي، 2022: 193). حيث ظلت زواوة ومحيطها حلقة الوصل بين الفضاء القبائلي والبلاد التونسية (ساحي، 2015: 36).

يعود الحضور الزاوي بالإيالة التونسية خلال الفترات الحديثة إلى النصف الثاني من القرن السادس عشر، حيث جلت أعداد من زواوة عن منازلها وأوطانها، وتركزت بالبلاد التونسية مع حملة علج علي عام 1569م؛ الذي تمكن من دخول تونس؛ التي ترك بها ثمانمائة من عساكر زواوة (ابن أبي دينار، 1993: 196)، وهذا الخبر يؤكد صاحب الاتحاف (ابن أبي الضياف، 2016: 17)، و من الصعوبة إحصاء أعداد أبناء زواوة بالبلاد التونسية، ذلك أن تأهيل النظام الديمغرافي بتونس يصطدم بعائق رئيسي يتمثل في عدم وجود وثائق إحصائية في ذلك الوقت؛ ما يجعل الباحث أمام مسألة عدد قليل من المعطيات العددية (Bachrouch, 1977: 25, 26)، وإذا كان صاحب المؤنس يحددها بثمانمائة، فإن القنصل الهولندي كورنيليس بيناكر Cornelis Pijnaker يؤكد أن عددهم وصل إلى ألفين (Cornelis, 2015: 225)، ويشير الأب دان في القرن 17م إلى كثرة أبناء زواوة المجندين الذين لم تكن أعدادهم تتجاوز عدد الأتراك ولا العلوج (Dan, 1649: 164)، في حين يجعل الديبلوماسي

<sup>3</sup> - مجهول: مخطوط كيفية سيرة زواوة، المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 3012، ص 15.

<sup>4</sup> - أ.و.ت. الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 2144، ص 247-248.

<sup>5</sup> - أ.و.ت. الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 2145، ص 207.

الإيطالي جون باتيست سلفاغو الذي زار تونس خلال القرن 17م أعداد زواوة؛ باثنتي عشر ألف زواوي (أحمد قاسم، 2004: 140)، ويبدو أن أعداد فرق زواوة قد تزايدت؛ حيث تحدث بايسونال عن وجود فيلق عسكري بالحاضرة لوحدها يضم نحو 3000 زواوي عام 1724م (بيسونال، 2003: 53)، وذكر صاحب المشرع أن الغرابة الذين كان أغلبهم زواوة، تجاوز عددهم عدد أفراد قبيلة هذيل بالشمال الغربي لعمل ماطر (الصغير بن يوسف، 2009: 193)، أما الباحث محمد الهادي الشريف، فقد أشار إلى أن عدد أفراد القوات النظامية لزواوة خلال القرن 18م يتراوح ما بين 1800 إلى 2000 زواوي؛ مستقرين بالعاصمة، وأعداد أخرى ساحت في مختلف المناطق (Hédi Chérif, 2008: 347). وقد وصل تعداد جند زواوة عام 1802 إلى 14000 مقاتل (هويدي، 2014: 22)، ولئن شهد القرنان 17م و18م تزييدا في عدد الوافدين من الزواويين على إيالة تونس، فإن القرن 19م قد عاين تعاظم ذلك التيار الذي ضم آلاف الجزائريين الفارين من الاستعمار الفرنسي (لطفي عيسى، 2018: 396)، حيث بلغ عدد ديار زواوة عام 1868م نحو 120 دار في الحاضرة (مصباحي، 2009-2008: 20)، وعند دخول القوات الفرنسية تونس 1881م كان يوجد في الحاضرة لوحدها حوالي 3000 جندي زواوي (السميراني، 2017: 122)، في حين يجعل مارتى عددهم بالعاصمة لوحدها في نفس العام 3500 زواوي (Marty, 1948: 309)، أما اندري ريمون فقد أشار أن أعدادهم تراوحت ما بين عشرة آلاف وعشرين ألف خلال الفترة الحديثة (ريمون، 1990: 79).

اعتمد صاحب المشرع الملكي عدة تصنيفات لفئة الزواوة؛ حيث قام بتقسيمهم وفق معايير مختلفة، فقد صنفهم أولا بحسب مناطق قدومهم فاستعمل مصطلح "غرابة" أي القادمين من الغرب، كما ربطهم أحيانا بأماكن استقرارهم مستخدما وصف "بلدية" للإشارة إلى الزواوة المستقرين من ساكنة المدن والقرى، وفي المقابل أطلق تسمية "رقاع" على الزواوة غير المستقرين، إضافة إلى ذلك نسبهم وفق طبيعة نشاطهم الاقتصادي؛ فاستعمل وصف "سوقي" للدلالة على الزواوة المرتبطين بالتجارة والأسواق، و"ضاعة" للإشارة إلى الفلاحين العاملين في الحقول والأراضي الزراعية، وأشار أن علي باشا (1735-1756) قد أكثر من جلب زواوة (الصغير بن يوسف، 2008، صفحة 84) الذين يعيشون ظروف حياتية صعبة ومتواضعة؛ حيث كانت أجورهم تبعث على السخرية، وكانوا لا يتقاضون راتبا إلا أثناء الخدمة، ولهذا قيل "الزواوة مقدمون في البلاء ومؤخرون في الراتب" (Federman, 1867: 319). وغالبا ما كانوا في الجبهات الأمامية « في فم مدفع Dans La Gueule Du Canon، حيث كانت فرقة زواوة من أقل المجموعات أجرا، فراتب خوجة زواوة وكاهيته مثل ربع أجر باش حانبه عرب ونصف كواهي الأوجاق الداخلية، وهذا ما دفع بعض أعوان العسكر إلى تعاطي بعض الأنشطة التجارية (هويدي، 2014: 35)، والمتمعن في هذا المثل الشعبي يلحظ تأكيد صفتين؛ قدرة زواوة على تحمل المشاق والأعمال الخطيرة (Mongi, 1986: 32)، وتدني وتأخر راتبهم أي قلة ما يكلفونه من أموال للخزينة المركزية (الأرقش و وآخرون، 2003: 154)، ونلمس المفارقة العجيبة الشديدة لهذه الفئة المتميزة التي تبرز في الأدوار القتالية في الأزمات والحروب؛ والتراتبية العسكرية المتدنية التي تعكسها ضالة المرتبات، ومحدودية رتبهم

العسكرية وعدم امتلاكهم وزن مؤثر على التشكيلات العسكرية الأخرى. ويعزى الاعتماد على هذا العنصر إلى طبيعة الفرد القبائلي الذي له مزاج يميل إلى القتالية.

### 03- الانتشار الجغرافي لزواوة في الإيالة التونسية:

انتشر أبناء زواوة في مختلف جهات وأطراف الإيالة التونسية؛ حيث نجدهم في ضواحي تونس العاصمة بباردو والحلفاوين، وباب سويقة وباب سعدون؛ وهي مناطق التمرکز الرئيسي لهم رغم انتشارهم في المدينة (Marty, 1948: 311)، ونجدهم أيضا بمدن الساحل مثل سوسة، صفاقس، بنزرت، قابس، المكنين، وجربة، كما كان لهم حضور في ماطر، الحمامات، نابل، وفي الوسط والشمال الغربي التونسي؛ بالقيروان والكاف، وأيضا في الجنوب (المكني، 2018) والجنوب الغربي بمختلف مناطق الجريد ونفزاوة وغيرها (Hédi Chérif, 2008: 347)، وقد تم تثبيت فيالق زواوة في مناطق مختلفة من الإيالة التونسية في إطار دعم سلطة العثمانيين الميدانية، واتخذ زواوة إقامتهم بالمدن القديمة التي تتوافر بها الثكنات والحصون، فقد تم إحصاء نحو 40 مدينة وقرية في هذا الجانب؛ في حين تقع الغالبية منها على الساحل (Mokni, 2010: 153)، ورغم طابع الانغلاق الذي وسم المجتمع الصفاقسي؛ فإن الوثائق تشير إلى بعض أبناء زواوة الذين كان لهم حضور في هذا الوسط (علي الزاوي، 1988: 371، 372)، كما جاءت إشارات عن زواوة في الدفاتر الإدارية والجبائية، من ذلك تذاكر لزواوة نوبة طبرقة وزواوة نوبة سقلاّب من المعظم سيدنا محمد باي (1756-1759) عن ستة أشهر في عامي 1747-1748م، وأيضا تذكرة لهاتين النوبتين تمثلت في أمطار زيت عن ستة أشهر<sup>6</sup>، ونلاحظ انتشار زواوة بالبلاد التونسية في فترات لاحقة، ففي عام 1842م نجدهم في كل من تونس، رادس، منزل بوزلفة، سوسة، مساكن، جمال، المنستير، صفاقس، قابس، جرجيس، جربة، القيروان، زغوان، بنزرت، ماطر، طبرية، باجة، تستور، تبرسق، الكاف<sup>7</sup>، ونفزاوة التي لعبت بها نوبة المنصورة دورا بارزا على مستويات مختلفة (لاغة، 2018: 177) حيث كانت أداة للعثمانيين منذ النصف الثاني من القرن 17م؛ الذي يصادف الفترة الأخيرة من حكم البايات المراديين (لاغة، 2018: 179)، كما كان لعنصر زواوة أهمية كبرى جهة بنزرت لا كجيش احتياطي فحسب بل كذلك في التركيبة الديمغرافية، حيث أشار أحد العمال بالمنطقة أن نصف سكان بنزرت زواوة (المزوعي، 1993-1994، 1996: 15)، ومن المهم في هذا الجانب؛ الإشارة إلى أن زواوة أسسوا مستوطنة جديدة تسمى "زواوين"<sup>8</sup> في منتصف القرن 19م؛ بالقرب من منطقة الساحل التونسي؛ بدأت الهجرة إليها في عام 1860، وضمت بشكل رئيسي عائلات من المزارعين الصغار (Mokni, 2010: 153).

<sup>6</sup> - أ.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 29، ص 55، 59.

<sup>7</sup> - أ.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم 3090.

<sup>8</sup> - زواوين: إحدى مدن الجمهورية التونسية، تقع في معتمدية غار الملح، ولاية بنزرت.

#### 04-التنظيم الإداري والعسكري لأبناء زواوة بالبلاد التونسية:

يرجع تكوين عسكر زواوة عصب الجيش النظامي للسلطة العثمانية بالبلاد التونسية؛ إلى عهد حمودة باشا المرادي (1631-1659) وكان منظما على منوال التشكيلة الإنكشارية تنسيقا وتأليفا واحترافا، وكانوا مدربين على استخدام الأسلحة النارية (الهادي الشريف، 1998: 144)، وقد انقسمت هذه التشكيلة إلى مجموعة من الفرسان التي تم تنظيمها على شاكلة المشاة العثمانية، بالإضافة إلى وحدات من الخيالة، وكان لها ثكنات خاصة ومحلة تخرج قبل محلة الترك (هويدي، 2014: 22)، ووزير حرب مكلف بعسكرهم وفنادق خاصة بهم (لاغة، 2018: 177). وتشير المصادر أن لباس جيش زواوة كان مدنيا؛ إلا أن الضباط منهم يحصلون على برنوس أسود، وكان لهم ديوان خاص (مجلس) مثل الحنفية؛ يرأسه الأغا، وهو مؤسسة سياسية وعسكرية، تتألف من سبعة أعضاء تتجدد عضويتهم كل سنة (الشيباني، 1995: 139)؛ يمثلون المجموعات الإثنية، اضطلعوا بمهمة تأطير أفراد العسكر (هويدي، 2014: 22). والظاهر أن هذا التنظيم العسكري الزاوي شبيه بالتنظيم السائد في الجزائر، حيث كان للزواوة ضباطهم، وقيادات فرقهم مع آغا هو مرشدهم الأعلى، ومع ذلك فإنه تابع للإنكشارية (Haëdo, 2007: 52). كما كانت لهم إدارة تنظم شؤونهم في الحياة اليومية؛ تخضع لقوانين خاصة بهم، وكان لديهم محاكم خاصة لحل النزاعات تعمل على تسوية الأمور والقضايا العادية، كما أن لهم تنظيم جبائي يمكنهم من المشاركة في استخلاص الضرائب، وهو ما جعلهم يحظون بالعديد من الامتيازات، كما أن لزواوة شيوخها الذين يتراأسون مختلف تصنيفاتها؛ إذ نجدهم منقسمين إلى قسمين، فهناك شيوخ مسجلون بديوان زواوة ويتقاضون الراتب، وقد بلغ عددهم سنة 1258هـ/ 1842 خمسة شيوخ، وشيوخ غير مسجلين بالديوان لا يتلقون الراتب، ويقدر عددهم بـ 29 شيخا<sup>9</sup>، والظاهر أن زواوة كانوا مستقلين بشيخ في عدة جهات من البلاد، ولا سيما بتونس ووطن المنستير (التيوموي، 1999: 162)، وفي ميدان الخطط الشرعية لاحظنا أن لزواوة عدولا بلغ عددهم عام 1258هـ/ 1842م ستة عشر (16) عدلا يتوزعون على جهات مختلفة بالحاضرة التونسية والمناطق المجاورة لها<sup>10</sup>.

#### 05- محلة زواوة في الإيالة التونسية "البنية-الوظيفة الجبائية والعسكرية":

تعتبر المحلة من المؤسسات الهامة بالبلاد التونسية في الفترة العثمانية، وهي موجودة منذ العهد الحفصي وموروثة عن العهد الموحيدي (الأرقش و وآخرون، 2003: 129)، ويتجلى هنا دور زواوة الأساسي في تحصيل المجبي مع المحلة الموسمية التي تخرج مرتين في السنة صيفا وشتاء، فقد كانوا على رأس الرتل أثناء الخروج السنوي للمحلة، وكثيرا ما يقومون بتعويض الجند الأتراك والجند التونسيين؛ حيث تشترك زواوة في هذا النوع من المحال؛ وعند خروج محلة الصيف إلى بوسديرة تعود محلة الترك إلى باجة ثم إلى تونس؛ بينما تتخلف محلة

<sup>9</sup> - أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم: 3090، ص 240.

<sup>10</sup> - أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم: 3090، ص 147، 157، 201، 206.

زواوة لتتولى حفظ السوق (الصغير بن يوسف، 1998: 41، 42)، كما يظهر دورها أيضا في المحلة التأديبية التي لا ترتبط بموسم محدد، حيث كانت زواوة حاضرة خلال الحرب الباشية الحسينية (1728-1756)، وعندما تحصن علي باشا في جبل وسلات جهز حسين باي محلة أغدق عليها بالعطايا تتكون من صفين من الترك و زواوة (الصغير بن يوسف، 1998: 116، 118)، ومحلة زواوة هي المحلة التي يمكن أن تصحب محلة الريح أو تسافر منفصلة عن الآخرين أو ينضمان لبعضهما في الطريق حسب ظروف السفر، وهي المحلة التي يلتحق بها فرسان العرب فتصبح أهم نواة المحلة المنصورة، وفيها تتجمع كل الوظائف الإدارية والجبائية، وتتكون محلة زواوة من ديوان مصغر وقيادة وصبايحية، وتجدر الإشارة إلى أن محلة زواوة يصحبها جمع كبير من الأتباع والخدم والمدنيين من أصحاب الوظائف الإدارية، كما تلتحم بمحلة زواوة مع الطريق عساكر ثكنات الثغور، فمحلة زواوة هي الوريث الأساسي للمحلة الحفصية، حافظت على طابعها المزدوج العسكري والمدني (مصباحي، 2008-2009: 50، 51)، وقد أشار الشيخ الورثيلاني في رحلته إلى حضور زواوة في محلة الأعراض؛ عقب زيارته لمقام الصحابي أبي لبابة بقابس (الورثيلاني، 2011: 350). لقد أصبح أفراد زواوة قوة عسكرية أهلية، يقومون من حيث المبدأ بنفس الوظائف والخدمات التي تقوم بها الإنكشارية. إلا أنهم يتفردون بميزة؛ أنهم أقل تكلفة، وأنهم لا يشكلون خطرا سياسيا على الدولة (Hédi Chérif, 2008: 279)، حيث خص الزواوة بامتيازات اقتصادية هامة، فقد كانوا معفيين من الضرائب المباشرة، ويقيمون في الثكنات الفندقية ويتقاضون أجرا سنويا بالفضة، ويستفيدون من الثمرات (مصباحي، 2008-2009: 147)، كما مكّهم الحسنيون بداية من القرن 18م من إقطاعات في جربة، مما يسر استخلاص الضرائب من أهل الجزيرة (المريعي، 2016: 94)، وتوضح أهمية زواوة بالنسبة للسلطة المركزية في عدم دفعهم للدية المخزنية<sup>11</sup>، وفي المقابل إذا ما قتل أحد من زواوة فإن لأهله الحق في المطالبة بالدية، وكلما ثبت لدى السلطة أن القاتل من زواوة إلا وسقطت عليه الدية، ويشير الكتبة إلى ذلك ببطلان الدية (بن طاهر، 1995: 67).

#### 06-الدور الأمني والعسكري لزواوة في الإيالة التونسية:

سجلت زواوة حضورها في كل فترات الأزمات السياسية والعسكرية والحروب الأهلية التي شهدتها البلاد، حيث اضطلعت بمهام خاصة كمهمة حفظ "النظام العام"، وتنفيذ المهام العسكرية المختلفة (بن طاهر، 1995: 66)، وقد وقع توزيع مجموعة نوباتها على مختلف الأبراج سواء الموجودة في محيط الحاضرة أو تلك المنتشرة داخل بقية المجال المحلي (هويدي، 2014: 23)، حيث بلغ عدد أبراج زواوة بالبلاد التونسية 13 برجاً، وتستحوذ العاصمة على النصيب الأكبر في حين لا نجد خارجها سوى برجين وهما برج طبرقة (مصباحي، 2008-2009: 73) وبرج المنصورة العسكري بنفزاوة (ضيف الله، أوت 2008: 93، 191)؛ وهذا دون أن نغفل برجي جرجيس والبيبان، وقد اهتمت السلطة العسكرية بهذين البرجين؛ نظرا لاحتلالهما موقعا حدوديا من ناحية الحدود الطرابلسية (الشيباني، 1995: 124، 127).

<sup>11</sup> - أ.و.ت: الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم: 291، ص 39.

استعان حكام تونس من الولاة العثمانيين بعسكر زواوة منذ أواخر القرن 16م، وكان أول من اعتمد عليهم القائد رمضان الذي استخدم بقايا فرق زواوة لما أعاد بناء المخزن إثر انهيار السلطة الحفصية سنة 1569م (ابن أبي دينار، 1993: 196)، ومع ذلك فقد تميزت فترة الحضور التركي الأولى وفترة الدايات بهيمنة العنصر التركي، وتتميز جند زواوة؛ الذين لم تدمجهم السلطة العثمانية في عسكرها النظامي بل عملت على التزام سياستها بالمحافظة على نقاوة دماء الانكشارية (لاغة، 2018: 177)، لكن مع الفترة المرادية تم إرجاع جند زواوة إلى الخدمة العسكرية بصفة دائمة، وكان المراديون أول من رتب زواوة وقاموا بتنظيمهم على شاكلة جند الترك، واستخدموهم في حربهم ضد القبائل وزادوا من أعدادهم، واتخذهم حمودة باشا (1632-1666) حرسا خاصا، كما اعتمد عليهم في تأمين البلاد والطرق (ابن أبي دينار، 1993: 260)، كما سار صاحب مشروع تونس مؤسست السلطة حسين بن علي (1705-1735) على هذا المنوال فواصل تجنيد الفرق من بلاد زواوة، ونشرها بأغلب قشل الإيالة حتى جعل منهم قوة عسكرية، كما شجع جاليات من زواوة على الاستقرار في أراضي البايلك بمناطق ماطر وباجة ونفطة ووضعها في مواجهة القبلية الجبلية (عزيزي، 2016: 186، 187). ويعيد بعض الباحثين استعانة الولاة العثمانيين بمقاتلي زواوة إلى سعيهم في إضعاف صلاتهم بالسكان المحليين (مسعودي، 2021).

إن مناصرة زواوة ووقوفها خلال الفتنة الحسينية الباشية (1728-1756) مع حسين بن علي في صراعه مع ابن أخيه علي باشا، دفع هذا الأخير مع وصوله إلى الحكم عام 1735م إلى العمل على هدم ديوانهم وعزل خوجتهم، كما عزم على إبطالهم من الخدمة العسكرية، لكنه عدل عن قراره بعد تدخلات ولده يونس باي (الصغير بن يوسف، 2009: 101). ولما أصبح بحاجة إلى حسم المعركة مع عمه، أيقن ضرورة رفع عدد الجند، لذلك أقدم على إشراك زواوة في محلة الصيف لسنة 1736م (الصغير بن يوسف، 2009: 125). كما أولى حمودة باشا الحسيني (1782-1814) عناية لجند زواوة، حيث اعتمد عليهم في حملته على طرابلس أكتوبر 1794م، ووصل بهم الولاء التام للسلطة إلى حد خروج نحو 17 ألف زواوي عام 1807م مع الحملة التي قادها صاحب الطابع إلى قسنطينة (ابن أبي الضياف، 2016: 24، 46). ومن الدلائل أيضا على حضور زواوة؛ ما جاء في إحدى المراسلات التي وجهها حمودة باشا الحسيني إلى مشايخ الساحل من الطرابلسية بتاريخ 1807، يطلب فيها قدوم جند زواوة الساحل بتمامهم لزامة ومتزوجين بأسلحتهم عليه دون أن يتخلف منهم أحد، لحاجته إليهم في حملته على قسنطينة، وأنه أقر زيادة رواتبهم<sup>12</sup>، ويعزى قتالهم إلى جانب المخزن التونسي ضد بني جلدتهم لاعتبارات منها السعي لتحسين وضعهم المادي؛ وهو ما يفسر مقولة باي قسنطينة حسين بوحنك (1736-1754) لجنده " رأيتم زواوة وما قاتلت على غير راتب " (الصغير بن يوسف، 2009: 43)، بالإضافة إلى امتعاضهم من سياسة الأتراك لأن حياة الإنسان الأمازيغي قائمة على الحرية والاستقلالية، وربما تكون مشاركتهم في هذه المواجهات ضد الأتراك

<sup>12</sup> - أوت: السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، الملف: 284، الوثيقة رقم: 100.

حرصا منهم على استمرارية بقاءهم في الولاء للمخزن التونسي الذي لطالما ارتبطوا به منذ أيام بني حفص؛ إلى جانب غياب فكرة الدولة في مخيلة بعض الجماعات القبلية.

ومع اندلاع ثورة الترك عام 1811م، عمد حمودة باشا إلى الإكثار منهم، حيث قام بتعمير أبراج الحاضرة والجبل الأخضر بزواوة (ابن أبي الضياف، 2016: 56)، واستطاع عن طريق هذه القوة القضاء على التمرد (Louis Frank, 1985: 200). كما ابتنى عدة فنادق في الأرياض لسكنى زواوة (الباجي المسعودي، 2012: 261)، وقد ازدادت أعدادهم على عهد الباي أبي الثناء محمود (1815-1824) الذي اعتنى بهم وجعل لهم مرتبا مع تجدد ثورة جند الترك عام 1816م، ما ساعد على إخماد هذه الثورة (ابن أبي الضياف، 2016: 119-121). التي أثرت على مكانة جند زواوة الذين أصبحت لهم حظوة كبيرة (ابن أبي الضياف، 2016: 121). ومع ذلك فإن دور زواوة تقلص في عهد أحمد باي (1837-1855) مع تأسيس الجيش النظامي في جانفي 1831م، وتسرب عدوى التمرد والعصيان إلى صفوفهم (السميراني، 2017: 120). حيث فقدوا أهميتهم تدريجيا، وهذا ما جعلهم يعلنون العصيان عام 1849م، لكن الباي تمكن من السيطرة عليهم، كما قام بإبطال عسة زواوة في باردو (ابن أبي الضياف: 127، 128). ومن هنا يتبين لنا أن مكانة جند زواوة قد تدنت لأن الباي أصبح داعما للعسكر النظامي دون غيرهم؛ إلا أنها استعادت دورها الريادي من جديد، حيث شارك نفر من عسكر زواوة في حرب القرم (1853-1856) تحت لواء الخلافة العثمانية ضد روسيا (العرقوبي، 2020: 03)، وارتقت مكانة زواوة على عهد الباي محمد الصادق (1859-1882) خاصة بعد تمرد عام 1864، كما وقفت في وجه الاحتلال الفرنسي عام 1881م، لذلك اهتمت السلطات الفرنسية زواوة واعتبرتها ميليشيا كبيرة الخطورة يتوجب التخلص منها بصفة نهائية (Mokni, 2010: 149, 150)، حيث تم حل جند الاحتياط من عسكر زواوة رسميا سنة 1883م (المكني، 2018)؛ لتصرفهم وسلوكهم الذي أزعج قوات الاحتلال، ووقوفه إلى جانب إخوانهم التونسيين، وهو ما جعل القادة الفرنسيين يطلبون إبعادهم، فتم نقلهم إلى جزيرة قرقنة (السميراني، 2017: 122).

#### 06-الاندماج الزواوي في النسيج المجتمعي التونسي:

تتونس الزواويون الذين كانوا يختصون بالحراسة في أبراج المدن الكبرى حيث توجد الأسوار والأبواب وقشل العسكر بمرور الوقت، وأصبحوا جزءا من مكونات المجتمع التونسي تاريخيا وسياسيا، ويبدو أن عدم انتظام تلك الأنشطة العسكرية هو ما دفعهم إلى الانخراط في الحياة الاجتماعية والاشتغال بالعديد من الحرف والانصهار تبعا لذلك في المجتمع دون أن يترتب عن ذلك انتفاء تام للتمايز بينهم وبين سائر سكان البلاد (لطفى عيسى، 2018: 396)، فأضحت حياتهم في ظل التكيف أكثر انسجاما في التركيبة الاجتماعية الجديدة، حيث اندمجوا مع السكان المحليين؛ وأصبح بإمكان كل زواوي أن يؤسس عائلته وبيته وفق العادات التونسية السائدة، ولكن على عقيدة سيدي البشير حرفيا الخاصة بعادات الزواج القائمة على تيسير المهر، حيث تزاوجوا مع العديد من العائلات والعروش، وكونوا تجمعات أسرية كبيرة؛ ارتبطت ببعض الألقاب العائلية المنتشرة بالبلاد التونسية، والتي تعود أصولها إلى زواوة، وقد انعكس انصهار أبناء الجالية في البيئة التونسية في تغيير

القابهم العائلية، وأسماءهم المميزة "حمو محند احسناوي أمزيان، قادة، لحسان، عميراش، إيدر، ميهوب... التي تبدلت تدريجيا وتتنوست، وابتعدت شيئا فشيئا عن الموروث القبائلي (المكني، 2018)، وظهرت كنيات جديدة مثل زواوي وزواغي، ومزوغى وجلجلي وجليلي (مسعودي، 2021)، حيث أصبح باستطاعة كل زواوي أن بنشأ موقده وعائلته، وأن يتزوج عموما من التونسيات ذات الانتماء الشعبي، وحسب التقاليد المألوفة للبلاد (Mokni, 2010: 151)، فكان أبناء زواوة بحق مثالا لاختلاط الدم التونسي بالدم القبائلي (بن الخوجة، 1986: 227)، حيث تناسلت زواوة في تونس؛ وأصبح للعديد منهم ذرية (ريمون، 1990: 79)، يعيشون وسط الناس وفي المدن والقرى ويقوم البعض منهم بالحراسة وفق نظام خاص بهم (العرقوبي، 2020: 03)، وكانوا يعتبرون جزءا من الجماعة التي تتعاون مع الحكومة المحلية للدفاع عن مصالحها، وامتد التماهي المجتمعي لأبناء زواوة إلى المصاهرة السياسية التي كانت امتدادا لعلاقات نسب قديمة، حيث تزوج الأمير عمر بن القاضي بوختوش امرأة من أسرة بايات تونس (Genevois, 1974: 16).

وما يعكس اندماجهم في النسيج الاجتماعي حضورهم في تونس بنفسية؛ امتازت بسهولة التعايش بين الدخلاء والأجانب، وكانت لديهم شبكة اجتماعية قوية حيث كانوا يعيشون في مدن مختلفة، ويجتمعون في أماكن محددة للحديث عن شؤونهم؛ أي أنهم كانوا يمارسون حياتهم بشكل مستقل، وكان احتفاظ أبناء زواوة بخصائصهم الثقافية لفترة قبل أن يتماهوا في النسيج المجتمعي التونسي؛ بعد أن أضحت إرادة الاندماج أكثر من ضرورة، وهو ما تكشفه أسماء تروي تاريخ زواوة في الاستعمال الشعبي: طريق سيدي البشير، طريق زواوين، نهج الزواوي، ساحة الزواوي، زاوية الزواوي... هذه الأماكن أصبحت أماكن ذاكرة لا تزال حية؛ ارتبطت بهذه المجموعة التي اندمجت بطريقة سريعة دون تمزيق وتشتيت (Mokni, 2010: 150, 153). وانتشر لقب "زواوي" في العديد من مناطق البلاد التونسية؛ كما هو الحال مع بعض ولايات الشمال الغربي، وخاصة في ولاية الكاف، ومدينة بنزرت حيث أشار أحد العمال بالمنطقة أن نصف سكانها زواوة (المزوغى، 1993-1994، 1996: 15)، وكان التحول في الملابس من أولى العلامات على الاندماج الاجتماعي والتكيف مع المجتمع المحلي؛ باستثناء رؤساء زواوة الذين استمروا في المحافظة على زيهم التقليدي، أما بقية زواوة فقد ارتدت الملابس العادية التي كان يرتديها غالبية السكان المحليين (Mokni, 2010: 154)، ومع ذلك بقي القبائلي محافظا على لسانه الأمازيغي، وتقاليدته المختلفة عن التونسيين خاصة في الزواج، وحتى على طبقه التقليدي "الكسكس" إلى جانب كونه محافظ وتقليدي، فهو شديد الغيرة على أهله وأكثر تحفظا في سلوكه؛ إلى جانب لباقتة في الحديث واجتهاده في العمل وهي سمات أفراد العرق البربري (Marty, 1948: 313).

اختار الزواوة التوجه نحو الأعمال المهنية مثل الزراعة، كما أبدوا اهتماما بالغا بالصناعات اليدوية وخاصة الأعمال الحرفية الصغيرة؛ التي تمثل مصدر رزق مهم لأفراد العائلة؛ مما ساعدهم على الاستمرار في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (Mokni, 2010: 152). ومارسوا الأنشطة التجارية وهو ما تكشفه المعاملات المالية؛ كما هو الحال مع التاجر علي بن محمد المكني غربالا القبائلي (ابن عظم، 2005: 210)، والملاحظ أن الزواوة استطاعت التعايش في جهات معينة، وأن تكون لها ثروات؛ كما هو الحال مع غرابة بجاية من أولاد علي بن سعيد في بنزرت التي امتلكت ثروة كبيرة (الصغير بن يوسف، 2009: 195)، ومن العائلات البنزرتية العريقة التي تعود أصولها إلى الزواوة؛ نجد عائلة الزواوي العريقة، وعائلة السعدي، وعائلة عزوز، دون أن ننسى عائلة

اللزّام إحدى أكبر العائلات العريقة في المدينة التي وفد جدها الأول من بجاية في بداية القرن 17م (فليس، 2013: 250-276، 314، 315)، ويذكر الصغير بن يوسف أن الغرابة من الجزائريين المستقرين بجهة ماطر الذين يعرفون باسم بجاوة؛ ينتمون إلى زواوة؛ أما قائدهم فهو علي بن سعيد، وقد كان أيضا شيخ ماطر، وأنهم كانوا في صراع مستمر مع القبائل المجاورة، ففرض عليهم محمد باي (1756-1759) تغيير موطن إقامتهم والانتقال إلى نواحي بنزرت بمعية عائلاتهم، وبوفاته عادوا إلى مضاربهم (الصغير بن يوسف، 2009: 68، 192-194)، وهذا يدل على تزايد أعداد أبناء زواوة التي أضحت قوة لها وزن ديمغرافي في هذه الفضاءات، وجهة مناوئة للسلطة الحاكمة منذ القرن 18م؛ التي حاولت احتواء واستقطاب هذه التكتلات في إطار مخزنة المجتمعات القبلية وتحيز المجال، ولعل هذا ما يفسر إقطاع علي باي (1759-1782) إياهم أحباسا متعددة (الأزهر الغربي، 1993: 69)، ويعكس لنا هذا الحضور الزاوي بهذه المناطق البعيدة عن الحاضرة مستويات الاندماج الاجتماعي التي بلغها أبناء زواوة في هذه البيئات المجتمعية الجديدة.

لقد ساهمت التوجهات الفقهية المعتدلة لشيخ الزاوية البشيرية بتونس يقينا في إدماج الوافدين وتمتين أواصر القربى بينهم وبين السكان عبر استنباط تخرجات فقهية طريفة على غرار الحط من قيمة المهر عند الزواج، وهو ما أسفر في تقريب العديد من العائلات التونسية الوجيهة منه (لطفي عيسى، 2018: 393)، ما أدى إلى خلق نوع من التآلف الاجتماعي بين الأسر والمجتمعات في تونس، حيث أضحت هذه العادة سارية في نواحي باجة، ماطر، بنزرت، بجاوة، هذيل، والملاحظ أن هذه العقيدة أضحت تقاليد جغرافية اجتماعية خاصة في شمال البلاد؛ ما يعكس البعد الثقافي والروحي لها (Mokni, 2010: 151)، وقد حرصت الرواية الشفوية في تبريرها لعقم سيدي البشير أو عدم قدرته على الإنجاب على ربط ذلك بالمفاضلة التي جعلته يفرط في نعمة البصر بغية الفوز بأبوة عرش زواوة، كسرديّة ملحمة تسند عرش زواوة في تحوله من التشتت إلى الالتحام (لطفي عيسى، 2018: 394)، لذلك كان البناء الهوياتي لزواوة موسوما بالثقافة الولائية لطريقة سيدي البشير: الأغاني الشعبية، الأشعار، الأساطير، زيارات الحج إلى زاوية هذيل-بجاوة-وتونس العاصمة. وهو ما ساعد على خلق طبوغرافية روحية للمجموعة، وبناء هوياتي أعطى للأماكن ذاكرة جديدة (Mokni, 2010: 155)، لذلك كانت زواوة على مر الفترات مركز استقطاب وفق جدلية الأحداث تحديا واستجابة، وهذا ما حدث في إطار ما يمكن نعتة تجاوزا إعادة قولبة البنيات السكانية بالطاقات الجديدة المكتسبة (ساحي، 2015: 37).

تشير المصادر التاريخية إلى التغيير الكبير الذي حدث في السلم الاجتماعي لجماعة زواوة في القرن 19م بإشارتين؛ التبجيل الكبير للولي سيدي البشير الزاوي من طرف الباي محمود وابنيه الذين منحوه أراضي وهناشر لزوايته، والثانية مع تسمية الشيخ محمد العربي البشير في منصب نقيب الأشراف بين 1867-1886م، وتندرج هذه الامتيازات في إطار مساعي السلط الحاكمة الهادفة إلى احتواء هذه القوة الديمغرافية الهائلة، ومن هنا نستطيع إدراك علامات اندماج تدريجي واضح على طائفة زواوة تجلت بوضوح في مشاركتها في حركة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، وهو ما دفع نقيب الأشراف على أن ينفصل باحتفال عن زواوة (Mokni, 2010: 150)، فتفرق المنتسبون إليها بين العديد من جهات الشمال الشرقي وحواضرها عارضين على أصحاب الأراضي الاشتغال بالأنشطة الزراعية (لطفي عيسى، 2018: 398)؛ فتماهوا في الأوساط المجتمعية، وأصبحوا تونسيين

بمرور الوقت مع بعض الفوارق (العرقوي، 2020: 04). ومع بداية القرن العشرين بدأت الهوية الزواوية تتخذ طابعا جديدا، فقد شكل الزواوة جزءا من الطبقات الشعبية، وتم تهميشهم تدريجيا في ظل التأثيرات الاستعمارية التي فرضت تغييرات على هيكل المجتمع التونسي، حيث بدأوا في فقدان ملامحهم الاجتماعية والثقافية، ما جعلهم في موقف صعب بين الاندماج الثقافي مع التونسي والاحتفاظ بجزء من الهوية الأصلية ( Mokni, 2010: 150).

وما تجدر الإشارة إليه؛ أنه على الرغم من الخدمات الجليلة التي قدمها الزواوة للمخزن التونسي؛ إلا أن النظرة الدونية إلى هؤلاء بقيت مستمرة، حيث كانوا يعانون من التمييز العرقي الممارس ضدهم منذ دخولهم إلى البلاد التونسية (Marty , 1948: 314) بسبب أصولهم المختلفة عن التونسيين، إذ كانوا يعتبرون طبقة من الأجانب الغرباء الذين خدموا في الجيش أو اشتغلوا في وظائف خدمية أخرى ( Mokni, 2010: 150)، ويبدو أن ظاهرة الحسد وبغض الأجنبي كانت سائدة في هذه الأوساط، وهو الشيء الذي حدث مع الشيخ الورثيلاني الذي اشتكى هو الآخر – عندما حل بتونس- من إنكارهم للغريب وحسدهم ومنافستهم وبغضهم للأجنبي (الورثيلاني، 2011: 327).

بدأت حركة عودة تدريجية للزواوة إلى الجزائر خلال الفترة الحديثة؛ وقد أثر هذا الإياب بشكل واضح في مختلف جوانب حياتهم ( Mokni, 2010: 148)، حيث عاد معظمهم لاحقا إلى أوطانهم، ذلك أن القبائلي ظل مرتبطا ارتباطا عميقا بأهله ومجتمعه؛ وكان يعمل في تونس من أجل دعم أسرته، ويقبل على نفسه ظروفًا معيشية قاسية بهدف توفير احتياجات أهله، ويبقى هناك مدة قد تمتد لعامين أو ثلاثة؛ ثم الرجعة إلى بلاده بعد أن يسلم عمله لأخيه أو أحد أقاربه، ومع ذلك فقد استقر بعض أبناء القبائل في تونس مع عائلاتهم، وغالبا ما تزوجوا من تونسيات، أما الذين وفدوا بمفردهم فإنهم استقروا بسرعة؛ ثم عادوا إلى قراهم عندما تمكنوا من جمع ما يُعدّ ذا قيمة لاصطحابه معهم، غير أن من وجد منهم مسكنا ومصدر رزق دائم؛ فإنه فضل البقاء بشكل نهائي، أما الشباب الذين غالبا ما ذهبوا فرادى؛ فإنهم ما لبثوا أن غادروها لزيارة عائلاتهم أو لإحضارها للإقامة معهم. (Marty , 1948: 310, 314)، ويذكر الورثيلاني في هذا السياق أنه ترك أثناء إقامته بتونس لمدة؛ أهله بها أخذا بخاطر بعض العلماء والصالحين الراغبين في إقامته وهذا بنية الرجوع والتوطن فيها لنشر العلم وبثه في البلاد التونسية (الورثيلاني، 2011: 339)، لكنه ما لبث أن عاد إلى مسقط الرأس، لذلك يبقى الشيء الأكيد أن أبناء زواوة في غربتهم عن الأهل والأصحاب؛ كانوا شديدي التعلق بذويهم ومكان نشأتهم.

#### الخاتمة:

اصطبغ تاريخ تونس الحديث بالحضور القوي والمتميز والمتكامل لأبناء زواوة الذين أسهموا إسهاما فاعلا في بناء الدولة و تشكيل معالم المجتمع التونسي؛ فقد اضطلعت الزواوة بأدوار حيوية فاعلة على شتى الأصعدة، وشكل أفرادها على امتداد ثلاث قرون مخزون عسكري احتياطي شارك في التحصيل الجبائي؛ وقمع الثورات والتمردات إلى جانب حضورهم في الحروب ومختلف الأزمات، ورغم حرص زواوة على المحافظة على خصوصيتها الثقافية؛ إلا أن هويتها تماهت مع مرور الوقت في النسيج المجتمعي، واندمجت في الفضاءات الجديدة؛ حتى تحولت كلمة

"زواوي" إلى لقب عائلي متداول في عدد من المناطق التونسية، وهو تؤكد على الحضور الزواوي في الحياة الاجتماعية. وهذا رغم محاولات التغيب الممنهج الذي حاق بأبناء زواوة؛ التي ظلت تعاني من سطحية النظرة الشعبية؛ حيث اقترن اسمها في المخيال الشعبي التونسي بالمرتبة الدونية والفئة الدخيلة المهمشة؛ رغم الخدمات الجليلة التي قدمتها. وأضحت مع مرور الوقت على هامش التاريخ العسكري؛ حيث فقدت مكانتها مع تأسيس الجيش النظامي وتسريح أفرادها، ليظل زواوة منسيين محكومين بمثل شعبي متواتر يختزل مظلوميتهم الإنسانية والتاريخية.

البيليوغرافيا:

أولا-الأرشيف والمخطوط:

\*الأرشيف الوطني التونسي:

01-الدفاتر الإدارية والجبائية:

- أ.و.ت. الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2144.

- أ.و.ت. الدفاتر الإدارية والجبائية، الدفتر رقم: 2145.

- أ.و.ت. الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم 29.

- أ.و.ت. الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم 3090.

- أ.و.ت. الدفاتر الإدارية والجبائية: الدفتر رقم: 291.

02-- أ.و.ت. السلسلة التاريخية، الحافظة: 223، الملف: 284، الوثيقة رقم: 100.

\* المكتبة الوطنية الجزائرية:

01-مجهول: مخطوط كيفية سيرة زواوة، المكتبة الوطنية الجزائرية، قسم المخطوطات، تحت رقم: 3012.

ثانيا-المصادر العربية والأجنبية:

01- ابن أبي الضياف. (2016). إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط1، (ج2- ج7)، تونس: منشورات دار زخارف للنشر.

02- ابن أبي دينار، (1993). المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. ط1. بيروت، دار المسيرة للطباعة والنشر.

03- ابن خلدون. (2000). العبر (ج6). (مراجعة سهيل زكار) بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

04- ابن عذوم أبو القاسم. (2005). كتاب الأجوبة (ط1، ج2). (تح محمد الحبيب الهيلة، المترجمون) قرطاج، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة".

05- الباجي المسعودي. (2012). الخلاصة النقية في أمراء إفريقية. ط1، ت. و. عزب، القاهرة، مصر: دار الآفاق العربية.

06- الناصر أبو راس. (2005). عجائب الأسفار ولطائف الأخبار (ج1). (تح وتو محمد غالم) وهران، منشورات CRASC.

07- الزهار. (2009). مذكرات نقيب أشرف الجزائر. (تح وتو أحمد توفيق المدني) الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع.

08- الصغير بن يوسف. (1998). المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، ط1، (مج1 - مج4)، ت. و. الطويلي، تونس: المطبعة العصرية.

09- الغبريني أبو العباس: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

- 10- الورثيلاني، ا. (2011). نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، طبعة خاصة مج3، ت.م.ع. بسطة، الجزائر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع.
- 11- بيسونال، ج. (2003). (الرحلة إلى تونس ) . 1724 ، ت.و. السنوسي، تونس: مركز النشر الجامعي ميديا كوم.
- 12- شالر وليام. (1982). مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824). (تع وتغ وتغ إسماعيل العربي) الجزائر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 13- شلوهر، ف. (1977). قسنطينة أيام أحمد باي. تر أبو العيد، الجزائر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 14- مجهول. (2005). مفاخر البربر ط1. (د. وتح عبد القادر بوبايا) الرباط، دار أبي رقراق للطباعة للنشر والتوزيع.
- 15- مقديش محمود. (1988). نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (ط1، مج1). (تح علي الزواري ومحمد محفوظ) بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- 16- Cornelis, P. (2015). **Description Historique Des Villes De Tunis, d'Alger Et D'autres Se Trouvant En Barbarie** 1626. (I. E. Krieken, Trad.) Alger: ENAG Editions.
- 17- Dan, P. (1649). **Histoire De Barbarie Et De Ses Corsaires**, (Ed. 2e Edition). Paris, France.
- 18- Genevois , H. (1974). **Légende Des Rois De Koukou., El-Harrach, Alger**, Algérie: Ecole Second Dioc.
- 19- Louis Frank, M. (1985). **Histoire De Tunis** (Ed. 2e Edition). Tunis, Tunisie: Edition Bouslama.
- 20- Pellisier, (. (1980). **Description De La Régence De Tunis** (Ed. 2e Edition). Tunis, Tunisie: Editions Bouslama.
- 21- De Paradis , V. (2006). **Alger Au 18e Siècle (1788-1790)**. Alger, Algérie: Edition Grand –Alger Livres.
- 22- Féraud , C. (1869). **Histoire Des Villes De La Province De Constantine- Bougie**, . Constantine, Algérie.
- 23- Haëdo. (2007). **Topographie Et Histoire Générale d'Alger** (Ed. 3e Ed). Alger, Algérie: Grand- Alger Livres Edition.
- 24- Peyssonnel , E. (1838). **Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger** (Vol. T2). Paris,, France.
- 25- Shaler, W. (1830). **Esquisse De L'état D'Alger**. (T. Bianchi, Trad.) Paris, France: Librairie Ladvocat.

#### ثالثا-المراجع العربية والأجنبية:

- 01- أبو يعلى الزواوي. (2005). تاريخ الزواوة (ط1). (مراجعة وتع: سهيل الخالدي) الجزائر، منشورات وزارة الثقافة.
- 02- أحمد توفيق المدني. (1956). هذه هي الجزائر. القاهرة، مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- 03- أحمد قاسم. (2004). البلاد التونسية على ضوء فتاوى ابن عثوم (1574-1600)، ط1، تونس: منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات.
- 04- الأرقش، د. وآخرون. (2003). المغرب العربي الحديث من خلال المصادر. ط1. تونس: مركز النشر الجامعي، ميديا كوم.
- 06- التيمومي، ا.و. (1999). المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، ت. ا. التيمومي، تونس: شركة أوزيس للطباعة
- 07- الزاوي علي". (1988). الوافدون على مدينة صفاقس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع"، من كتاب الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني). ج. و. التميمي، زغوان، تونس: منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات.
- 08- السمراني، م. (2017). الجيش التونسي (1831-1881) رائد نهضة وإصلاح ط1، تونس: سوتيميديا للنشر والتوزيع.
- 11- الشيباني، ب. (1995). الجيش التونسي في عهد محمد الصادق. (1859-1882)، ت. ع. التميمي، زغوان، تونس: منشورات مؤسسة التميمي.

- 12- الميري، م. (2016). إياضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث. ط. 2، تونس، تونس: منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص.
- 13- بن اشهو عبد الحميد. (1972). دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر. الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش.
- 14- بن الخوجة، م. (1986). صفحات من تاريخ تونس، تق وتغ حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- 15- بن سليمان فاطمة. (2009). الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس، 1574-1881، تونس: منشورات Edisciences.
- 16- بن طاهر، ج. (1995). الفساد وردعه الردع المالي وأشكال المقاومة والصراع بالبلاد التونسية. (1705-1840) منوبة، تونس: منشورات كلية الآداب.
- 17- بنوجيت يوسف (2009). قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر للميلاد. (تر سامية سعيد عمار) الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- 18- بوعزيز يحيى. (2009). أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة (ج1). الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع.
- 19- حسبلاوي نسيم. (2022). تطور الساكنة في منطقة بومرداس في العصور الوسطى الحديثة، "بومرداس الذاكرة الإنسان والمجال. مخبر التاريخ المحلي" والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة، جامعة البويرة.
- 20- ريمون، أ. (1990). المدن العربية الكبرى في العصر العثماني. ت. فرح، القاهرة، مصر: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
- 21- ساجي، أ. (2015). الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو 1512-1767 م. تيزي وزو، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
- 22- ضيف الله، م. (أوت. 2008) نو افذ على نفزاوة. تونس، تونس: المغاربية للطباعة.
- 23- عزيزي، م. (2016). إشكالية الولاية وآلة الحرب والحكم المتجول في المغرب العربي الحديث. تونس: منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص.
- 24- عميرواي حميدة. (2002). علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، قسنطينة، الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر.
- 25- فكاير عبد القادر. (2018). دراسات في تاريخ الجزائر الحديث العهد العثماني 1518-1830. الجزائر، الجزائر: دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.
- 26- فليس، ف. (2013). عائلات بنزرت تاريخها ومشاهيرها. ط1، بنزرت، تونس: مطبعة. Print Copy
- 27- لاغة، م. (2018). نفزاوة الجنوب التونسي (تاريخ وراث). منوبة، تونس: مركز النشر الجامعي.
- 28- لطفي عيسى. (2018). مغرب المتصوفة ط2، تونس: الشركة الوطنية للنشر وتنمية فنون الرسم.
- 29- لقبال موسى. (1997). دوركتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 30- هويدي، س. (2014). أعوان الدولة بالإيالة التونسية الأفراد-المجموعات-شبكات العلاقات. (1735-1814)، تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- 31- Bachrouh, T. (1977). **Formation Sociale Barbaresque Et Pouvoir A Tunis Au 17e Siècle**, Tunis, Tunisie: Publication De L'université De Tunis.
- 32- Boulifa, A. (1925). **Le Djurdjura A Travers L'histoire**. Alger, Algérie.
- 33- Hédi Chérif, M. (2008). **Pouvoir Et Société Dans La Tunisie De H'usayn Bin Ali (1705-1740)** (Ed. 2e Edition, Vol. T 1). Tunis, Tunisie: Centre De La Publication Universitaire.
- 34- Haggui Jamel. (2020). **Les Algériens En Tunisie De 1871 A 1962** Tunis, Tunisie: Les Editions Sahar-Tunisie.
- 35- Mahé, A. (2006). **Histoire De La Grande Kabylie Xixe-Xxe Siècles**. Anthropologie Historique Du Lien Social Dans Les Communautés Villageoises. (Ed. Deuxième Edition Corrigée). Paris, France: Editions Bouchène

36- Mongi, S. (1986). **Les Zouaoua, Une Colonie Kabyle En Tunisie Au 19e Siècle**. Tunis, Tunisie: Editions Tunis- Carthage.

رابعاً-المقالات "العربية والأجنبية":

- 01- خلفات مفتاح (جانفي، 2009). بجاية حاضرة زاوية نموذجاً للمدينة المتطورة. مجلة الصراط (العدد 18).
- 02- صولي فاطمة الزهراء أرزقي شويتام: (جويلية، 2022). "هجرة علماء الجزائر نحو تونس خلال القرن 18م ومطلع القرن 19 الأسباب والنتائج". مجلة عصور، مج 21 (العدد 01).
- 03- Federman, H. (1867). **Notices Sur L'histoire Et L'Administration Du Beylik Titteri**. Revue Africaine, 11.
- 04- Marty , G. (1948). **Les Algériens A Tunis**. Revue De L'institut Des Belles Lettres Arabes.(42-43).
- 05- Mokni, A. (2010). "**Allogènes De Jadis De Naguère: La Communauté De Zwawa A Partir Du Milieu Du 19e**". Cahier Du C.E.R.E.S( N°3).

خامساً-المذكرات والرسائل الجامعية:

- 01- آيت سوكي محند ألكي (2006-2007). تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها من مختلف الجوانب الحياتية من القرن 16-19، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث. الجزائر: جامعة الجزائر.
- 02- بن الشيخ علي: مملكة كوكو ونظامها السياسي والعسكري، أطروحة دكتوراه في الحضارة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2017-2018.
- 03- مبارك فاهيمة. (2015-2016). بلاد زاوية في ظل الحكم العثماني 1511-1830م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث. الجزائر، جامعة الجزائر 2.
- 04- نبيهة مصباحي. (2008-2009). زاوية بالبلاد التونسية في الفترة الحديثة، مذكرة ماجستير في التاريخ لحديث. تونس، جامعة تونس 1.

سادساً-الندوات والملتقيات:

- 01- الأزهري الغربي". (1993). منطقة ماطر أواخر القرن 19م"، أعمال الندوة الجهوية السنوية التاريخية لمدينة بنزرت دوتا : 1991-1992. بنزرت: مطبعة أوريس، قصر السعيد، تونس.
- 02- المزوي (ف). دورتا 1993-1994، (1996) الوضع العسكري بجهة بنزرت في النصف الثاني من القرن 19، أعمال الندوة الجهوية السنوية التاريخية لمدينة بنزرت: بنزرت عبر التاريخ. تونس: مجموعة سراس.
- 03- الهادي الشريف م". (1998). القوى المسلحة بتونس في علاقتها بالدولة والمجتمع من ق16م إلى أواسط ق19، من أعمال ندوة: تاريخ الجيش التونسي، 31-30 أكتوبر. 1997، مجلة الدفاع.

سابعاً-المواقع الإلكترونية:

- 01- العرقوبي، أ". (2020, 11 17). لم ينصفهم التاريخ...عسكرزواوة -مظلومون حتى في الذاكرة. ن بوست،
- 02- المكني، ع. (2018). 26 ماي. "عسكرزواوة مقدمين في الشقاء مؤخرين في الراتب". نيوز براس New Press.
- 03- مسعودي، و". (2021, 12 14). عسكرزواوة...خاطر في الحرب مظلوم في الذاكرة "تونس. بوابة تونس، مؤسسة سوشال كيبس.